



مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

الإسلام والمسلمون في الصين

الكتاب 105 سبتمبر (أيلول) 2015

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

الإعلام الصيني في اللغة العربية

حسين إسماعيل*

الإعلام، لغةً، هو الإخبار والإطلاع وفقاً لتعريف المعجم الوسيط، واصطلاحاً، هو نشر الحقائق والأخبار والأفكار والآراء بوسائل الإعلام المختلفة، وفقاً لتعريف إبراهيم إمام⁽¹⁾. وتُعرف فؤادة عبد المنعم البكري الإعلام الدولي بأنه: تزويد الجماهير في الدول الأخرى بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة بقصد التأثير عليها وإقناعها بقضايا الدولة التي تقوم بالبحث⁽²⁾.

(*) باحث مصري مختص في الشؤون الصينية، رئيس الفرع الإقليمي لمجلة «الصين اليوم» في الشرق الأوسط.
(1) إبراهيم، إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1969، ص12.
(2) فؤادة، عبد المنعم شكري، الإعلام الدولي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011، ص85.

ويحتاج الإخبار والنشر إلى عنصرين: «اللغة»، و«الوسيط» الذي قد يكون مرثياً أو مسموعاً أو مقروءاً، وبهذا المعنى فإنه يتجاوز وسائل الإعلام بالمفهوم الاصطلاحي السائد، من صحف وإذاعة وتلفاز، إلى الكتب والعروض الفنية والتبادلات الثقافية وغيرها من الوسائط التي تنقل الأخبار والأفكار والآراء. وقد توافرت للصين، في النصف الأول من القرن العشرين، بذور العنصر الأول، ثم سعت في النصف الثاني من القرن إلى حيازة العنصر الثاني. فقد استقبل الأزهر الشريف أول بعثة تعليمية صينية عام 1931، وكان طلاب هذه البعثة من مدرسة تشنغدو الإسلامية في مقاطعة يونان الصينية، ومنهم الأستاذ ما جيان (محمد مكين) مؤسس قسم اللغة العربية بجامعة بكين، والأستاذ نا تشونغ (عبدالرحمن) (1910-2008) مؤسس كلية اللغة العربية بجامعة الدراسات الأجنبية في بكين، إضافة إلى الأساتذة: لين شينغ هو، ونا شيون، ولين شونغ مينغ، ولين تشينغ تشين، وغيرهم من العلماء الصينيين المسلمين الذين درسوا العربية ونشروها في ربوع الصين. وقد وظفت الصين، التي كانت تحت حكم حزب الكومينتانغ، ثروتها من المتحدثين بالعربية إعلامياً عندما تعرضت للغزو الياباني في ثلاثينيات القرن العشرين، فبعثت بوفد على رأسه العالم الإسلامي الكبير دا بوشنغ إلى مصر نهاية عام 1937، وقد وصل إلى القاهرة بداية عام 1938، ونشرت الصحف المصرية مقتطفات من كتابه «رسالة إلى المسلمين في العالم»، وطُبع منه ما يزيد على عشرة آلاف نسخة في مصر، باللغة العربية، وشرح الوفد قضية بلاده في مؤتمر لإنقاذ الصين عقد بمدينة الإسكندرية⁽³⁾.

في فترة الحرب الأهلية الصينية، بين حزب الكومينتانغ والشيوعيين، احتلت مخاطبة الرأي العام الغربي المنحاز للكومينتانغ الأولوية الإعلامية لقادة الحزب الشيوعي الصيني، فاستقطبوا إليهم عدداً من الإعلاميين الغربيين المؤمنين بقضيتهم، ومن أبرزهم الصحفي البولندي المولد إسرائيلي أبشتاين، والصحفي الأمريكي إدغار سنو، صاحب الكتاب الشهير «نجم أحمر فوق الصين». وقبل إعلان قيام جمهورية الصين الشعبية عام 1949 بثلاث سنوات، كان قد تم بالفعل إنشاء شعبة لتدريس اللغة العربية في جامعة بكين، تخرج فيها الجيل الأول من المترجمين

(3) العلاقات المصرية - الصينية في خمسين عاماً، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، 2006، ص 145.

الصينيين بالعربية، الذين عمل عدد منهم في مجال الإعلام الناطق بالعربية.

لم تشهد الصين الجديدة وسيلة إعلامية ناطقة بالعربية إلا عام 1957، في العام التالي لاعتراف مصر بجمهورية الصين الشعبية، عندما أطلقت إذاعة الصين الدولية خدمتها بالعربية، وكانت تبث لمدة ساعة على فترتين يومياً. ومن الملاحظ هنا أن إطلاق النسخ العربية لوسائل الإعلام الصينية الرئيسية ارتبط بتطور العلاقات الصينية-العربية وأحداث صينية لها تأثير عربي-إسلامي، فبعد الزيارة الشهيرة التي قام بها رئيس مجلس الدولة الصيني تشو إن لاي إلى مصر نهاية عام 1963، أطلقت مجلة بناء الصين (الصين اليوم حالياً) نسختها العربية عام 1964، كما جاء إطلاق محطة التلفزيون الصينية المركزية (CCTV) لقناتها العربية في أعقاب أحداث العنف التي شهدتها منطقة شينجيانغ الويغورية ذات الأغلبية المسلمة عام 2009؛ وهي الأحداث التي كانت لها أصداء واسعة في المجتمعات الإسلامية والعربية، وتناولتها وسائل الإعلام الغربية بطريقة رأت فيها الصين تحيزاً واضحاً وتحاملاً عليها.

وقد تطور الإعلام الصيني الموجه للخارج، ومنه الإعلام الصيني باللغة العربية، خصوصاً بعد تبني الصين سياسة الإصلاح والانفتاح أواخر سبعينيات القرن الماضي، وصولاً إلى استراتيجية «توطين الإعلام الخارجي» التي تبنتها الصين بداية القرن الحادي والعشرين، والتي تقوم أساساً على إقامة فروع إقليمية خارج الصين لوسائل الإعلام الصينية، والاستعانة بمزيد من الإعلاميين المحليين، والانخراط أكثر في القضايا التي تهم المتلقي المحلي خارج الصين. وفي هذا الإطار أنشأت مجلة (الصين اليوم) وإذاعة الصين الدولية ومحطة التلفزيون الصينية المركزية فروعاً لها في المنطقة العربية.

ولكن، على الرغم من هذا التطور، ما زال الإعلام الصيني باللغة العربية يواجه تحديات كثيرة، يأتي في مقدمتها الفجوة المعرفية في العلاقات العربية-الصينية، ونمطية الإعلام الصيني الموجه للمنطقة العربية والافتقار إلى اللغة والمهارات الإعلامية.

تسعى هذه الدراسة، من خلال منهج تاريخي تحليلي، إلى تقديم عرض وتحليل للإعلام الصيني باللغة العربية.

خلفية تاريخية

تميز الصينيون عبر العصور بحُسن مخاطبة الآخر، وقد استمر هذا النهج في الإعلام الصيني الموجه للخارج، فيما يمكن تسميته بالإعلام المهذب، كونه جزءاً من منظومة ثقافة الأمة الصينية، ويعمل في إطارها ويتفاعل معها مؤدياً دوره الإيجابي البناء⁽⁴⁾. وتذكر كتب التاريخ أنه عندما وصل قتيبة بن مسلم الباهلي إلى مشارف الصين سنة 714م وبعث بوفد يفاوض الإمبراطور الصيني، قال الوفد للإمبراطور: إن قائدهم أقسم أنه «لن ينصرف حتى يطاء أرض الصين»، فبعث الإمبراطور شيوان تسونغ للقائد المسلم بصحاف من ذهب فيها تراب من أرض الصين فوطئه الباهلي وأبرَّ يمينه وانصرف⁽⁵⁾!

وبعد أن دخل الإسلام الصين، وصار من مكونات ثقافتها، أصبح الصينيون المسلمون إحدى أدوات الدبلوماسية الصينية للتواصل مع الشعوب الإسلامية، ومنها العرب. وكان قائد أعظم أسطول صيني في البحار الغربية، أي الواقعة غرب الصين، مسلماً اسمه تشنغ خه. في الحادي عشر من يوليو (تموز) عام 1405، انطلقت، بتكليف من الإمبراطور تشنغ تسو، أولى رحلات تشنغ خه. وفي رحلته السابعة التي قام بها بداية عام 1431، بتكليف من الإمبراطور شيوان تسونغ، حفيد تشنغ تسو، زار أسطول تشنغ خه نحو عشرين بلداً ووصل إلى البحر الأحمر، وبعث من معه لأداء فريضة الحج في مكة المكرمة⁽⁶⁾.

وقد لعب ما يُسمى بالتعليم المسجدي دوراً في نشر اللغة العربية بين الصينيين المسلمين في عصور ما قبل التعليم النظامي. ويرجع الفضل في هذا النوع من التعليم،

(4) حسين، إسماعيل، الإعلام المهذب، الصين اليوم، عدد نوفمبر (تشرين الثاني) 2005.

(5) حسين، إسماعيل، سفر الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى 2008، ص114.

(6) حسين، إسماعيل، تشنغ خه.. أمير البحر المسلم المجهول عربياً، الصين اليوم، عدد أغسطس (آب) 2005.

الذي يشبه «الكتاتيب» في مصر، إلى الشيخ هو دنغ تشو (1522-1597)، الذي عاش في زمن الإمبراطور جيا جينغ (1522-1566) والإمبراطور وان لي (1573-1620) لأسرة مينغ. أسس الشيخ هو دنغ تشو أول مدرسة مسجدية في الصين، بمقاطعة شنشي، ثم أقيمت مدارس مشابهة في مناطق أخرى غير شنشي، مثل شاندونغ وهونان وهوبي ويونان وقوانغتشى⁽⁷⁾. وقد ظل التعليم الإسلامي على هذا النحو حتى أوائل القرن العشرين.

تعليم اللغة العربية في الصين

يعتبر تعليم اللغة العربية في الصين الأساس المهم للإعلام الصيني باللغة العربية. بداية القرن العشرين، أدرك المثقفون الصينيون المسلمون أن التعليم المسجدي لم يعد يواكب عصراً شهدت فيه الصين تحولات كبيرة، فطفقوا يفكرون في أسلوب تعليمي جديد. وشهدت فترة ثلاثينيات القرن العشرين انتشاراً للمدارس الإسلامية الابتدائية والإعدادية والثانوية على نطاق واسع، فخلال عشر سنوات، أسس المسلمون ما يقرب من ألف وخمسمائة مدرسة ابتدائية وإعدادية، وحوالي ثلاثمائة مدرسة ثانوية، وكان نظام هذه المدارس كنظام المدارس الحكومية، لذا خضعت لإشراف المديريات التعليمية التابعة للحكومات المحلية إلى جانب الجمعيات الإسلامية⁽⁸⁾.

وكان عام 1931 علامة فارقة في مسيرة تعليم العربية بالصين، عندما أرسلت جمهورية الصين أول بعثة تعليمية للدراسة بالأزهر في مصر، ضمت آباء التعليم النظامي للغة العربية في الصين، والتي ضمت إضافة إلى ما جيان ونا تشونغ، كلا من: ما تينغ بينغ، وشي تشيان، وتشانغ بينغ دوه، وما جين بنغ، وليولين روي. وعندما رجع ما جين إلى الصين أواخر ثلاثينيات القرن الماضي، بعد دراسته في الأزهر، بدأ برنامج الصين الرسمي لتعليم العربية بجامعة بكين. كما ترجم ما جيان عديد

(7) أسامة، عبدالسلام، التعليم الإسلامي في الصين، الصين اليوم، عدد مارس (آذار) 2012.

(8) المصدر السابق.

النصوص الثقافية الصينية والوثائق السياسية الخاصة بالعلاقات الصينية-العربية، وكان مترجماً لقادة الصين خلال لقاءاتهم مع القادة العرب⁽⁹⁾. ودرس على يد ما جيان عديد من رواد المستعربين الصينيين، ومنهم البروفيسور تشوي ليه، مؤسس مجلة «العالم العربي» التي تصدر في الصين منذ عام 1980، والأستاذ في جامعة اللغات الأجنبية بشانغهاي.

ويلخص الباحث الصيني هايون ما الدور الإعلامي الذي لعبه المثقفون الصينيون المسلمون في تواصل الصين مع المنطقة العربية قبل تأسيس الصين الجديدة بالقول: «في الواقع، كان المثقفون الصينيون المسلمون والطلاب والعلماء هم الذين سهلوا منح وضع (الدولة الأولى بالرعاية) بين كل من جمهورية الصين ومصر عام 1930 (ثم إقامة العلاقات الدبلوماسية الرسمية بين البلدين عام 1942). وقد أرسلت حكومة جمهورية الصين مجموعات من الطلاب المسلمين الصينيين إلى جامعة الأزهر العريقة في القاهرة عام 1931 عندما واجهت الصين الغزو الياباني في منشوريا وشانغهاي. وقد تعهد الصينيون المسلمون بغرس الصداقة مع الدول العربية والإسلامية والدعاية لحرب المقاومة الصينية للغزو الياباني. وخلال دراستهم في الأزهر، اغتتم الطلاب المسلمون الصينيون فرصة الذهاب إلى الحج لكسب تعاطف العرب المسلمين مع الصين»⁽¹⁰⁾.

بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية العام 1949، أنشأت الحكومة الصينية تخصص اللغة العربية في جامعات ومعاهد عديدة، منها: معهد الشؤون الدبلوماسية (انضم قسم اللغة العربية بالمعهد إلى جامعة الدراسات الأجنبية بكين لاحقاً)، وجامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية، وجامعة الدراسات الأجنبية في بكين، والمعهد العسكري للغات الأجنبية في لويانغ، والمعهد الصيني للعلوم الإسلامية، وجامعة الدراسات الدولية في شانغهاي، ومعهد اللغات في بكين (جامعة اللغات والثقافة حالياً)، والمعهد الثاني للغات الأجنبية في بكين (جامعة الدراسات الدولية حالياً).

(9) Haiyun Ma, «China's Pivot on Middle East Studies,10/5/203»: islamicommentary.org

(10) Haiyun Ma, «ISLAMi Commentar; www.juancole.com/2013/.../diplomatic-beijings-establishment.h

وتُدْرَس اللغة العربية حالياً في ثلاث عشرة جامعة ومعهداً عالياً بالصين، إضافة إلى معاهد العلوم الإسلامية في بعض المناطق الصينية التي تتبع - إدارياً - فروع الجمعية الإسلامية في المقاطعات⁽¹¹⁾.

الإعلام من عناصر قوة الصين الناعمة

تعتمد الصين في تواصلها مع المنطقة العربية على أدوات متعددة، من بينها الإعلام. وإدراكاً منها لأهمية الإعلام الموجه للمنطقة العربية، قررت جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين في شهر فبراير (شباط) 2015، إقامة مركز لدراسات الإعلام الصيني الموجه إلى المنطقة العربية. وقال شيويه تشنغ قوه، رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة: إن الهدف من إنشاء المركز هو تعزيز صوت الصين في الصحف العربية، وبحث مواقف وأساليب وسائل الإعلام العربية التقليدية والجديدة. وأضاف أن العالم العربي يعتبر شريكاً مهماً للصين في المجالات المختلفة، مما يتعين على الجانبين أن يعززا التعاون والتبادل في الإعلام، مقترحاً أن تتبادل وسائل الإعلام الصينية الخبرات الإعلامية مع نظيراتها العربية، وتقيم دورات تدريبية للإعلاميين العرب، وتتيح منصة لتبادل المقالات الإخبارية فيما بينهما.

طورت الحكومة الصينية استراتيجية للتواصل الثقافي مع العالم العربي، ضمن جهود أوسع لجذب عدد أكبر من العرب في البلدان ذات الأهمية الاستراتيجية لبكين، الذين سوف يعملون بأنفسهم كموفدين وممثلين لوسائل الإعلام وللمجتمع بأسره. وبمساعدهم، تسعى الصين إلى الوصول إلى قطاع أوسع من الجماهير عبر قنوات البث الأصلية في المنطقة التي لا تستطيع القنوات الأجنبية منافستها. وتدعم تلك التجربة - بدورها - حملة «قوة ناعمة» لتعديل النسيج الثقافي للمنطقة بما يخدم المصالح الصينية. ويرى الباحث الأمريكي المختص في المجتمعات العربية جوزيف براودي، أن وسائل الإعلام الصينية حققت نجاحاً غير مسبوق في التواصل مع الشرق الأوسط، من خلال تقديم مسلسل درامي كوميدي صيني يتكون من

(11) شوي تشنغ قوه، اللغة العربية في الصين الحديثة، على الرابط التالي:

http://www.arabiclanguageic.org/print_page.php?id=4482

أربعين حلقة، جرت دبلجته باللغة العربية، وإذاعته على القناة الثانية بالتلفزيون الرسمي لجمهورية مصر العربية. وإذا كان الكثير من الخبراء الغربيين في مجال القوى الناعمة، بما في ذلك مبتكر المصطلح جوزيف ناي، الأستاذ بجامعة هارفارد، قللوا من شأن الدبلوماسية الصينية على مستوى العالم؛ حيث وصفها بأنها غير فاعلة، فإننا إذا نظرنا بشكل أعمق إلى الجهود التي تبذلها القوة الناشئة في الشرق الأوسط، فسوف نكتشف أن الحديث عن إخفاقها في جذب العقول والقلوب العربية، أمر مبكر للغاية. وأن هناك الكثير من الدروس التي يمكن لأي من القوى الإقليمية والدولية الاستفادة منها في التجربة الصينية⁽¹²⁾.

وسائل الإعلام الصينية الناطقة بالعربية

أ- المطبوعات الورقية

مجلة (الصين اليوم)

«الصين اليوم» (بالصينية: جين ري تشونغغو)، هي وسيلة الإعلام الصينية الوحيدة التي تصدر مطبوعة ورقياً باللغة العربية. تأسست مجلة الصين اليوم (بناء الصين سابقاً) في شهر يناير (كانون الثاني) عام 1952، بعد سبعة وعشرين شهراً من إعلان قيام جمهورية الصين الشعبية في الأول من أكتوبر (تشرين الأول) عام 1949، فكانت أول صوت إعلامي صيني يكسر الحصار الغربي على الصين الجديدة. كانت المجلة تصدر في اللغة الإنجليزية باسم (بناء الصين) قبل أن يتم تغيير اسمها إلى (الصين اليوم) عام 1990. تأسست المجلة عندما اقترح رئيس مجلس الدولة الصيني الراحل تشو أن لاي، أن تقوم السيدة سونغ تشينغ لينغ، عقيلة رائد الثورة الديمقراطية الصينية صون يات صن، بإنشاء مجلة «لتعزيز الصداقة بين الصين والدول الأخرى»⁽¹³⁾.

(12) جوزيف، براودي، مجلة المجلة، 15 مارس (أذار) 2014.

(13) Soong Ching Ling through the Eyes of Israel Epstein, China Today magazine, Aug., 2011.

كانت المجلة تصدر في اللغة الإنجليزية فقط، وحالياً تصدر بالعربية والإنجليزية والإسبانية والفرنسية والصينية والتركية وتوزع في أكثر من مئة وخمسين بلداً ومنطقة بالعالم؛ وتنتشر على الإنترنت بالعربية والصينية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية. تأسست الطبعة العربية للمجلة باسم (بناء الصين) في شهر أكتوبر (تشرين الأول) عام 1964، عقب الزيارة التاريخية التي قام بها تشوآن لاي لمصر وعدد من الدول الأفريقية، نهاية 1963 وبداية 1964.

في يناير (كانون الثاني) عام 1990، تغير اسم المجلة إلى (الصين اليوم). كان تغيير الاسم في حد ذاته مؤشراً لتطور الصين، فالاسم الأول كان مناسباً لفترة إعادة بناء البلاد من جديد وإنعاش الاقتصاد، ولكن بعد أن أنجزت الصين مهمة إنعاش الاقتصاد بصورة أساسية تقرر تغيير اسم المجلة إلى (الصين اليوم) الذي يتحلى بمزيد من الإحساس العصري ويتفق مع طبيعة وخصائص مجلة شاملة موجهة للخارج⁽¹⁴⁾.

العام 2004، حولت المجلة مكتب تمثيلها في مصر إلى فرع إقليمي لمنطقة الشرق الأوسط، في إطار استراتيجية توطين وسائل الإعلام الصينية الموجهة للخارج. وفي 2011، اختارتها الندوة الفكرية لمجلة (العربي) الكويتية أنموذجاً للإعلام الآسيوي باللغة العربية.

مجلة الصين المصورة (رغمين هواياو)

تأسست مجلة «الصين المصورة» العام 1950، وهي تعتمد على الصورة رئيسياً. وقد حظيت باهتمام خاص من الزعيم الصيني الراحل ماو تسي تونغ، الذي تصدرت صورته معظم أغلفة المجلة في سنواتها الأولى. صدرت طبعاتها العربية في بداية ستينيات القرن الماضي، وتوقف صدور طبعاتها العربية الورقية عام 2006، ولكنها مستمرة على شبكة الإنترنت. تولى رئاسة تحرير الطبعة العربية للمجلة

(14) وانغ فو، الإصدارات الآسيوية باللغة العربية، (الصين اليوم) نموذجاً، ورقة مقدمة لندوة مجلة (العربي) الكويتية، يناير (كانون الثاني) 2011.

لمدة ثماني عشرة سنة الشيخ الصيني المسلم محمود لي هوا ين، صاحب المؤلفات الكثيرة حول الإسلام في الصين. ويعد لي هوا ين من أوائل الصينيين الذين كتبوا عن الإسلام في الصين بعد انتهاج البلاد سياسة الإصلاح والانفتاح الاقتصادي، ففي العدد الأول لسنة 1980 لمجلة (الصين المصورة) كتبت مقالة مصورة بعنوان «المسلمون في الصين»، كانت أول مقالة مصورة تعكس أحوال المسلمين الصينيين خلال قرابة ربع قرن⁽¹⁵⁾.

ب- الإعلام المسموع والمرئي

وكالة أنباء الصين الجديدة (شينخوا)

تأسست وكالة أنباء الصين الجديدة (شينخوا) العام 1931 تحت اسم «وكالة أنباء الصين الحمراء»، وفي 1937 حملت اسمها الحالي (شينخوا) الذي يعني حرفياً (الصين الجديدة).

وهي مؤسسة إعلامية ضخمة يعمل بها ما يقرب من عشرين ألف شخص، ولديها نحو مئة وسبعين مكتباً خارج الصين، من بينها المكتب الإقليمي للشرق الأوسط ومقره القاهرة. وتعتبر (شينخوا) مصدر الأخبار الرئيس لوسائل الإعلام الصينية كافة. أنشأت الوكالة قسماً عربياً بها للأخبار المحلية والأخبار الدولية وأقامت مكتباً لها في القاهرة سنة 1986، تحول إلى مكتب إقليمي لمنطقة الشرق الأوسط، ولها مراسلون في معظم العواصم العربية.

إذاعة الصين الدولية

انطلقت النسخة الإنجليزية للإذاعة الصينية في الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) 1947، عندما كانت الصين في غمار حربها الأهلية تحت اسم (XNCR) وعندما تأسست الصين الشعبية عام 1949 تغير اسمها إلى (إذاعة بكين)، ثم في

(15) محمود، يوسف لي هوا ين، (الصين اليوم)، عدد يناير (كانون الثاني) 2004.

1983 تغيير الاسم إلى (إذاعة بيجينغ)، قبل أن تتخذ اسمها الحالي عام 1993.

تُبث إذاعة الصين الدولية برامجها بثمان وثلاثين لغة أجنبية وأربع لهجات صينية واللغة الصينية الفصحى، بإجمالي ساعات بث يصل إلى مائتين وثمانين ساعة ونصف الساعة يومياً.

تأسس القسم العربي في (إذاعة الصين الدولية) في الثالث من نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1957 وكانت تبث لمدة ساعة على فترتين يومياً. وفي 1959 زادت مدة البث إلى ساعتين على فترتين، وفي 1981 ازداد عدد ساعات البث إلى ثلاث ساعات يومياً. وفي الثامن والعشرين من مارس (آذار) عام 1999 أطلقت إذاعة الصين الدولية برنامجها العربي الداخلي على قناة (FM88,7) لمستمعها في العاصمة الصينية بكين، حيث تبث ساعة واحدة يومياً.

القناة العربية لمحطة التلفزيون الصينية المركزية (العربية

(CCTV)

بعد أن أطلقت عديد من دول العالم قنوات تلفزيونية فضائية باللغة العربية، شرعت الصين في التحضير لإطلاق قناة تلفزيونية عربية. كان الموعد المحدد لانطلاق البث الرسمي للقناة العربية بمحطة التلفزيون الصينية المركزية هو شهر سبتمبر (أيلول) عام 2009، قبيل احتفال الصين بالعيد الوطني في شهر أكتوبر (تشرين الأول).

بيد أن وقوع أحداث عنف في منطقة شينجيانغ الويغورية التي يقطنها مسلمون في الخامس من يوليو (تموز) عام 2009، والتي أثارت ردود فعل دولية واسعة النطاق، ولعب الإعلام الغربي دوراً رأتها الصين مضللاً، وبالنظر إلى مشاعر العرب المسلمين تجاه ما يحدث في شينجيانغ، قررت الجهات الصينية المعنية التعجيل بإطلاق القناة في الخامس والعشرين من يوليو (تموز) 2009. تغطي هذه القناة منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من خلال القمرين الاصطناعيين (عرب سات) و(نايل سات). تعتمد القناة على عدد من الصينيين المتحدثين بالعربية، إضافة إلى عدد

من مقدمي البرامج والمذيعين من دول عربية مختلفة.

ت- الإعلام الإلكتروني

جاء الإنترنت ليشكل الثورة السادسة في عالم الاتصالات، حيث يعد أحدث التقنيات التي شهدها العقد الأخير من القرن العشرين⁽¹⁶⁾، ومع بداية الألفية الجديدة، أدركت الصين الأهمية المتنامية لوسائل الإعلام الإلكترونية، فالعولمة التي تجتاح القارات وتحطم الحدود تستدعي أجوبة فكرية وثقافية، والصين التي تعزز بثقافتها وتاريخها وتستعد للعب دور كوني مستقبلي، لم تتوان عن تأكيد حضورها في إعلام الإنترنت ولم تستثن اللغة العربية من ذلك، فوكالة أنباء شنخوا الرسمية وصحيفة الشعب وهي لسان حال الحزب ووزارة الخارجية ومؤسسات أخرى عديدة أوجدت لها مواقع باللغة العربية على الشبكة العنكبوتية، في سعي واضح لمزيد من الانفتاح على العالم العربي والعالم عموماً. صوت الإعلام الصيني باللغة العربية ارتفع في خضم حرب عقديّة دارت رحاها بين نظريات وأيديولوجيات في منتصف القرن الماضي، الحرب انتهت ووضعت أوزارها وذهب زبد النظريات والأيديولوجيات، لكن الإعلام الصيني باللغة العربية بقي وسيبقى طالما أن المنطقة العربية تشكل أهمية متزايدة في السياسة الصينية اقتصادياً وجيوستراتيجياً⁽¹⁷⁾.

شبكة الصين

أنشأت المجموعة الصينية للنشر الدولي موقعاً إلكترونياً باسم «مركز الصين لمعلومات الإنترنت» أو (www.china.org.cn) العام 2000، والذي اشتهر باسم «شبكة الصين» في نسخته العربية. يصدر هذا الموقع بعشر لغات حالياً، من بينها اللغة العربية. يعتمد الموقع بشكل رئيس على الأخبار والتقارير التي تنشرها وكالة أنباء شنخوا في طبعتها العربية. وبعد الاستعانة ببعض الإعلاميين العرب، صار الموقع

(16) فؤادة، عبد المنعم شكري، مرجع سابق، ص 153.

(17) عزت شعور، موقع الجزيرة نت 15 مايو (أيار) 2005، على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/home/print/0353e88a-286d-4266-82c6-6094179ea26d/cc1891b5-d2d7-410b-91c8-bf20fa9d97a9>

يقدم خدمات إعلامية خاصة به. ويولي الموقع اهتماماً كبيراً للعلاقات الصينية-العربية، إضافة إلى موضوعاته الرئيسية المتعلقة بالتطورات الداخلية في الصين.

شبكة (الشعب)

الموقع الإلكتروني لصحيفة (الشعب اليومية) هو ثاني موقع إلكتروني دشنته الصين باللغة العربية، وكان ذلك في يناير (كانون الثاني) العام 2001. الموقع الذي يتبع صحيفة (الشعب اليومية) الصينية الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الصيني، يعتمد في تغطيته الإخبارية على النسخة العربية لوكالة أنباء (شينخوا)، كما ينشر بعض التعليقات المترجمة من النسخة الصينية لصحيفة (الشعب اليومية)، وهي أوسع الصحف الصينية انتشاراً.

موقع وزارة الخارجية

يتبع هذا الموقع وزارة الخارجية الصينية، وينشر المؤتمرات الصحفية للمتحدث الرسمي باسم الوزارة، وبعض التقارير الحكومية، ويهتم بتغطية زيارات كبار المسؤولين العرب للصين وزيارات المسؤولين الصينيين للمنطقة العربية.

موقع إذاعة الصين الدولية

يتبع القسم العربي لإذاعة الصين الدولية، ولا تختلف محتوياته كثيراً عن المواقع الإلكترونية الصينية الأخرى باللغة العربية، باستثناء بعض المعلومات الخاصة بالإذاعة.

هذا إضافة إلى عدد غير قليل من المواقع الإلكترونية التابعة لوزارات وهيئات حكومية صينية، مثل موقع المركز الصيني الدولي لخدمات التجارة الإلكترونية التابع لوزارة التجارة الصينية، وموقع منتدى التعاون الصيني-العربي، التابع للأمانة العامة للمنتدى، ومجلة الاقتصاد الصيني التي تصدرها وكالة أنباء شينخوا أسبوعياً على الإنترنت.

التحديات التي تواجه الإعلام الصيني بالعربية

ما زال كثيرون خارج الصين يظنون أن أجهزة الإعلام الصينية ليست أكثر من ناطق باسم الحكومة؛ تردد ما يقوله المسؤولون وتبرر ما يفعلونه. بل إن بعض الكتاب والباحثين في البلاد العربية يعتبرون أن الاستناد إلى مصادر إعلامية صينية، في ما يكتبون عن الصين، يجرح مصداقية كتاباتهم. والحق أن من يفكرون بهذا الأسلوب ما زالوا يعيشون أسرى أوهام عفا عنها الزمن وتجاوزتها الأحداث، غير مدركين لما تشهده الصين من تحولات كبرى في المجالات كافة، وليس الإعلام استثناء منها. والغريب حقاً أن منهم من يكتبون عن الصين باعجاب واضح، وتفيض أقلامهم إعجاباً بالتجربة الصينية ومدحاً لما أنجزته حكومة الصين خلال الثلاثة عقود الماضية.

الواقع هو أن أجهزة الإعلام الصينية، التي تدافع بقوة عن المصالح الاستراتيجية للوطن، والتي تسهم في منظومة صناعة صورة الصين خارج الحدود، هي ذاتها أجهزة الإعلام التي تنتقد الحكومة وتلاحق الخطأ أينما كان وأياً كان من وراءه. وهناك مئات بل آلاف من القضايا التي تمس مصالح جماهير الشعب كشفتها أجهزة الإعلام، ومئات من الظواهر الجديدة ذات التأثير السيئ على صالح المجتمع، وكان لأجهزة الإعلام الفضل في كشفها ومقاومتها⁽¹⁸⁾. ولكن الإعلام الصيني باللغة العربية يواجه جملة من التحديات، نستعرض هنا أبرزها:

أولاً: الفجوة المعرفية

من نافذة القول: إن الدراسات الصينية غير موجودة تقريباً في الجامعات ومراكز البحوث العربية، باستثناء مجال اللغة الصينية التي يتم تدريسها في عدد من الجامعات العربية. وبالرغم من الحديث الكثير عن تنويع الدول العربية لعلاقاتها، فإن ما يُسمى بالنخبة في البلدان العربية غير مؤهلة فكرياً لذلك لارتباطها الفكري والعقلي والمعرفي، وربما لاعتبارات المصالح أيضاً، بالغرب. وعلى سبيل المثال، فإن

(18) حسين، إسماعيل، الإعلام المهذب، الصين اليوم، عدد نوفمبر (تشرين الثاني) 2005.

موقف الصين من الأزمة السورية لا يحظى باهتمام إعلامي عربي، بل يتعرض كثيراً للنقد، والسبب -ببساطة- هو أن الجانب الصيني لم ينجح بشكل كبير في تقديم موقفه إعلامياً، وأن الجانب العربي غير مؤهل للانفتاح على رؤى أخرى وتقبلها غير تلك الرؤى التي يتلقاها مُعلبة من الغرب. ملامح الفجوة المعرفية جلية، وأسطح مظاهرها أن كثيراً إن لم يكن كل من يكتبون عن الصين في الدول العربية يستندون إلى مراجع غربية بشكل عام، بل إنهم يكتبون أسماء قادة الصين ومقاطعاتها ومؤسساتها خطأ، أو أنهم لا يعرفونها أصلاً. الباحثون العرب لا يقرؤون ما يكتبه الصينيون عن بلادهم وما يجري فيها، ولا ينظرون فيما يكتبه الصينيون عن بلادهم وعن العالم⁽¹⁹⁾.

وعلى الأرجح فإن أحداً من الإعلاميين العرب لم يلتفت إلى ما كتبه الباحث الصيني تيان ون لين، في مقالة له نشرها موقع (شبكة الصين) في 29 مايو (أيار) 2013، بأن منطقة الشرق الأوسط تشهد اضطرابات سياسية عربية على نطاق غير مسبوق. وقد حلل الباحث الصيني الأوضاع في الدول العربية التي سبقت اندلاع طوفان الاحتجاجات الشعبية بقوله: «هذه الدول العربية تواجهها مشكلة هيكلية، فقد انفصلت الطبقة الحاكمة عن الشعب، وبات تطور اقتصادها يعتمد على الخارج، وصارت سياستها الخارجية تقوم على طاعة الولايات المتحدة الأمريكية»⁽²⁰⁾. هذه المشكلة البنيوية في النظام العربي لا ينتبه لها كثير من الساسة وصانعي القرار والمفكرين في الدول العربية.

على الجانب الآخر، فباستثناء قلة من الباحثين المهتمين بالمنطقة العربية، فإن المواطن الصيني يتعرض لتأثير التحليلات الغربية لما يجري في المنطقة العربية وما تنشره وسائل الإعلام الغربية. وحسب باحث صيني، فإن معظم الباحثين الصينيين في الدراسات العربية يتعاطفون مع القضايا العربية. لا ينبع هذا التعاطف من قناعتهم بأن القوة العربية في مصلحة الصين التي تدعو إلى تعددية الأقطاب فحسب، ولا ينبع من التماثل الصيني- العربي حضارة وروحانية ومعاناة وكفاحاً

(19) حسين، إسماعيل، الفجوة المعرفية في العلاقات الصينية- العربية، (الصين اليوم)، أغسطس (آب) 2014.

(20) تيان ون لين، موقع (شبكة الصين)، 29 مايو (أيار) 2013.

فحسب، وإنما لأن اللغة العربية الجميلة أدت دورها في تقريبهم من العرب شعباً وثقافة⁽²¹⁾.

قد يكون صحيحاً أن وسائل الإعلام الحالية، من فضائيات وإذاعات ومواقع إعلامية جعلت البعيد قريباً، وقربت البعيد منّا، وجعلت الدول التي لا نعرفها معروفة لنا، وصورتها ملازمة لنا. ومثال الصين في هذا ناصع وصورتها تظهر أمامنا يومياً. فمن عشرات المواقع الصينية على شبكة الإنترنت والفيسبوك باللغتين العربية والإنجليزية، إلى الطبعة العربية لمجلة (الصين اليوم) الشهرية، إلى أثير إذاعة الصين الدولية الناطقة بالعربية، إلى الفضائية الصينية، إلى الصحف الصينية المنشورة بالعربية كشبكة الصين وصحيفة الشعب الصينية، وغيرها الكثير التي جعلت الصين قريبة وأخبارها يومية، نقرأها، ونشاهدها ونستمع إليها وتلذذ بصورها⁽²²⁾.

وبحسب خبير الشؤون العربية في جامعة الدراسات الأجنبية في بكين، ليوشين لو، فإن: «صورة كل من الصين والدول العربية لدى الجانب الآخر لا تزال الصورة النمطية التي تجسد الصين في بروس لي والكونغ فو والمأكولات الصينية فقط، فيما يقتصر معنى كلمة عرب بين الصينيين على النفط والصحراء»⁽²³⁾.

لكن، لن تستطيع وسائل الإعلام أن تقوم بالمهمة كاملة لجسر الهوة المعرفية في العلاقات الصينية-العربية، ولا بد أن تتبنى مؤسسات رسمية وبحثية وإعلامية عربية وصينية مشروعاً يحدد آليات من شأنها جسر هذه الهوة المعرفية بين الجانبين؛ ولا بد من تعزيز حركة الترجمة بين اللغتين الصينية والعربية، والأهم من ذلك هو خلق حالة من الزخم الشعبي الصيني والعربي لدفع الجانبين لمعرفة بعضهما البعض. وحسب محمد علي فرحات، الكاتب في جريدة (الحياة) السعودية، فإنه: «من الصعب أن نطلب في سنة أو سنتين أو حتى في عشر سنوات أن تحضر الصين في

(21) شوي، تشينغ فوه، موقع جريدة الشعب اليومية، 10 سبتمبر (أيلول) 2014.

(22) عبدالله، علاونة، جريدة (الديار) الأردنية، 17 يونيو (حزيران) 2014.

(23) ليو، شين لو، كلمة في ندوة الإعلام الصيني الموجه للعالم العربي، بكين في 8 ديسمبر (كانون الأول) 2014.

الخيال العربي كمثل حضور أوروبا ووريتها الولايات المتحدة الأمريكية»⁽²⁴⁾.

خلاصة القول: إننا في حاجة ملحة إلى تحويل الشعار الذي يتردد منذ فترة بالاتجاه شرقاً إلى واقع تباشره وتفتح آفاقه المؤسسات البحثية والإعلامية، فكل من العرب والصينيين في حاجة إلى إعادة اكتشاف الآخر.

ثانياً: نمطية الإعلام الصيني في اللغة العربية

بالرغم من التطور الذي شهده أداء الإعلام الصيني باللغة العربية في السنوات الأخيرة، ما زال الإعلام الصيني - بشكل عام - يُدار - إلى حد كبير - بطريقة نمطية أقرب إلى إدارة المؤسسات الحكومية، باعتبار أن كل وسائل الإعلام الصينية مؤسسات حكومية. ولهذا ما زالت وسائل الإعلام الصينية الناطقة بالعربية تفتقر إلى ما يُسمى في الإعلام بـ«السبق»، كما تخلو - إلى حد كبير - من التنوع الذي يميز كلا منها عن الأخرى.

تتجلى نمطية الإعلام الصيني الموجه للمنطقة العربية - أيضاً - في الإغراق في المحلية، فوسائل الإعلام الصينية تركز على القضايا الصينية ولا تولي اهتماماً كبيراً للأحداث العربية التي لا تكون الصين طرفاً فيها، وحتى عندما تتناول مثل تلك الأحداث يكون تناولها خبيراً بالأساس، من دون التحليل الذي يفصح بوضوح عن رؤية الباحثين الصينيين للقضايا العربية، في ظل هاجس بيروقراطي يجعل المسؤول الإعلامي الصيني حيادياً وحادراً من الانزلاق إلى مواقف خلافية.

هذا الموقف الحذر من مكونات الشخصية الصينية وله جذور تاريخية، وقد أشار إليه وسعى إلى تحليله البروفيسور فرانسوا جوليان، الأستاذ في جامعة باريس السابعة، في مقال بالنشرة العربية لصحيفة لوموند دبلوماسيك لشهر أكتوبر (تشرين الأول) 2006، بعنوان «الصين في مرآة الغرب»، حيث كتب قائلاً: «يبدو لي أن المفكر الصيني في العصور القديمة طوّر فكرة ما أسماه «الجهوزية» أي ترك كل الإمكانيات مفتوحة. ذلك أن ما يخشاه الإنسان «الحكيم» هو التحيز الذي يقوده، إذا اصطدم

(24) محمد، علي فرحات، كلمة في ندوة الإعلام الصيني الموجه للعالم العربي، بكين في 8 ديسمبر (كانون الأول) 2014.

ببعض ظواهر الأشياء، إلى فقدان الآخر. وقد قال مونشيوس عن كونفوشيوس: «عندما كان من المناسب أن يتولى مهمة، كان يتولاها، وإذا لم يكن مناسباً، تخلّى عنها». وهناك -على الأقل- طريقتان لتصوير موقف الصين «البين بين»: إذ يمكن فهمه على أنه نقطة توازن بين حدّين، ف«البين بين» لدى الحكيم الصيني، هو القدرة على القيام بكلّ الأمرين مع بقاء «الانفتاح بالتساوي» على الحدّين⁽²⁵⁾.

ثالثاً: فقر اللغة الإعلامية

اللغة -أي لغة لفظية أو غير لفظية- ترتبط ارتباطاً وثيقاً وموضوعياً بعملية الاتصال، وتالياً بعمليات التواصل والتفاعل بين البشر. وإذا كان الإلقاء هو فن النطق بالكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه، وهو تمام الصورة الأدائية للمتحدث وما يعترها من انفعالات تعبيرية تنطق بها الملامح والحركة المحسوبة، ثم تجيء الكلمة متممة وموضحة للمعنى، فالأمر لا يتوقف بالنسبة للإعلاميين على الإلمام باللغة، وإنما بكيفية استخدامها قراءة وكتابة ونطقاً، لأن اللغة العربية تتسم بخصوصية الأساليب في تراكيبها وصوتياتها ودلالاتها⁽²⁶⁾.

وتعد اللغة الإعلامية أحد معوقات انتشار الإعلام الصيني باللغة العربية، حيث تفتقر إلى العناوين الجاذبة إضافة إلى استخدام بعض وسائل الإعلام الصينية لغة تبدو غريبة على سمع المواطن العربي. ومن أمثلة ذلك النوع من العناوين: «أسعار الإسكان في الصين.. القفز الثلاثي في (30) سنة»، «أسعار الإسكان تتغالى»، «توقفت السيارة في شارع مفعم بالهرج والمرج»، «الجمارك الصينية تستولى على (430) كيلوغراماً من المخدرات المتنوعة منذ مطلع هذا العام»، «لنفتح خزن الثياب للزوجين أوباما وميشال»، «الجهة الهزيلة للجنود»، «اختراع الملابس الداخلية الخاطبية في اليابان»، «عاصفة رملية تهاجم على مدينة الكويت»، «الخيالان الكلبان في بريطانيا». «محافظة ونتشون هي بمثابة موشور متعدد»، «حالة التحام المجابهة بين فلسطين

(25) حسين، إسماعيل، سفر الصين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، الطبعة الأولى، 2008، ص 8-9.

(26) عادل، فهمي، مهارات الإعلاميين اللغوية والاتصالية، دار المشرق العربي، القاهرة، 2014، ص 31.

وإسرائيل لا تزال تبقى كما هي»⁽²⁷⁾.

الأمر لا يقتصر على العناوين، وإنما يمتد إلى صوغ الموضوعات أيضاً، فتحت عنوان «موسيقى متعددة المقومات»، جاء في عدد ديسمبر (كانون الأول) 2008 مجلة الصين المصورة: «وقد تفرد بتقديمها هؤلاء الشباب المتبعون للتيار السائد، اتباعاً خارقاً للعادة إذ إنها كانت مسرحاً استطاعوا عليه إبراز كل كفاءاتهم كما يحلو لهم، ليطلق على كل منهم لقب (شاب الموضة الخارقة للعادة)، باستثناء الفوز بالجوائز السخية». وخبر آخر يقول: «بكين أول يونيو/ علم مراسل شينخوا من شركة شوقوانغ مؤخراً أن أسرع حاسبة فوق المستوى في الصين من طراز (5000 إيه) وتدعى (موفانغ) ستدخل طور الاستخدام رسمياً في مركز شانغهاي للحاسبات فوق المستوى يوم (12) يونيو الحالي. صنع هذه الحاسبة (5000 إيه) مركز البحوث والتنمية الوطني للحاسبات العاقلة التابع لأكاديمية العلوم الصينية بالتعاون مع شركة شوقوانغ/ بكين المحدودة لصناعة المعلومات، ومركز شانغهاي للحاسبات فوق المستوى...»⁽²⁸⁾.

يُعزى استخدام هذه اللغة ليس فقط إلى ضعف مستوى اللغة العربية لدى العاملين في وسائل الإعلام الصينية الناطقة بالعربية، حيث إن معظمهم من الشباب حديثي التخرج، ولم يدرسوا اللغة العربية إلا أربع سنوات فقط في الجامعة، وإنما أيضاً للافتقار إلى المهارات الإعلامية باعتبار أن تخصصهم الرئيس في الجامعات هو «اللغة العربية». كما أنه لا يوجد برامج تدريب إعلامية متبادلة بين الصين والدول العربية. يضاف إلى ذلك، أن معظم من توظفهم وسائل الإعلام الصينية من العرب ليسوا إعلاميين محترفين، ولكنهم إما تصادف وجودهم في الصين لغرض الدراسة أو للبحث عن عمل أو يتم استقدامهم إذا قبلوا بما يعرضه الجانب الصيني من راتب ومعاملات معيشية. ويلعب العامل المادي دوراً مهماً في هذا المجال، فبحكم الإدارة البيروقراطية للإعلام الصيني الموجه للخارج، يتم التعامل مع الإعلاميين

(27) موقع صحيفة الشعب اليومية، يونيو (حزيران) 2009 على الرابط التالي:

arabic.people.com.cn

(28) الموقع الإلكتروني لمجلة الصين المصورة، ديسمبر (كانون الأول) 2008، على الرابط التالي:

www.chinapictorial.com.cn

كموظفين تحكمهم القواعد الإدارية المنظمة للعمل ولا توجد حوافز تمييز للأفضل أداءً وخبرةً. وفي هذا الإطار، فإن وسائل الإعلام الصينية الناطقة بالعربية متخلفة كثيراً عن عديد من القطاعات الصينية، وخصوصاً العاملة في المجالات الاقتصادية، والمؤسسات التعليمية والعلمية، التي تُدار بنمط إدارة المؤسسات الحديثة.

رابعاً: ضعف الأداء المهني

تنعكس الإدارة البيروقراطية على الأداء المهني للإعلام الصيني الموجه للمنطقة العربية، حيث تعمل الإدارات المختلفة داخل وسيلة الإعلام الواحدة كجزر منفصلة، مع الافتقار لما يسمى بالحس الإعلامي، وعدم متابعة التطورات والأحداث. وباستثناءات قليلة، فإن معظم وسائل الإعلام الصينية تتأخر في تغطيتها للأحداث عن وسائل الإعلام الدولية الأخرى، وتتبنى في تغطيتها - إلى حد كبير - الموقف الرسمي للحكومة الصينية.

الخاتمة

قد يكون من الصعب تقويم تأثير الإعلام الصيني في اللغة العربية على أبناء المنطقة العربية؛ لعدم وجود دراسات وبحوث مختصة في هذا المجال، ولكن يمكن رصد اهتمام عربي موسمي بالإعلام الصيني يكون مرتبطاً - غالباً - بأحداث رسمية عربية- صينية، وخصوصاً زيارات كبار المسؤولين العرب للصين، ومثال ذلك أثناء زيارة ملك السعودية الراحل عبدالله بن عبدالعزيز للصين عام 2006، وزيارة الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي للصين في ديسمبر (كانون الأول) 2014، مما جعل مجلة صينية تصف شهر ديسمبر (كانون الأول) في 2014 بأنه «شهر الصين في مصر»⁽²⁹⁾.

إضافة إلى ذلك، هناك قوى عربية من دوائر مختلفة ترى أن النفوذ الصيني في المنطقة العربية ليس في مصلحتها، ومن ثم فإنها تعمد إلى إعاقة تنامي النفوذ الصيني، بما في ذلك أدواته الإعلامية، في المنطقة. ويسعى البعض عن جهل أو وعي

(29) (الصين اليوم)، ص 3، عدد يناير (كانون الثاني) 2014.

إلى إفساد مشاعر ودية ما زالت تجمع بين غالبية الصينيين والعرب، وقطع روابط الصداقة التي ما زالت تربط العرب بالصينيين⁽³⁰⁾.

ووصل الأمر إلى وصف الإعلام الصيني باللغة العربية بأنه «إباحية فاضحة مخصصة للعرب فقط»، بزعم أن ما تنشره وسائل الإعلام بالصينية «عناوين صارخة ومبتذلة وبلغة ركيكة، وصور إباحية فاضحة تأتيك من حيث لا تحتسب.. تستهدفك أنت وحدك من دون سواك وبلغتك من دون غيرها.. أنت أيها العربي المولع بالجنس والمهوس بالإثارة»⁽³¹⁾.

ولكن، وفقاً لاستقصاءات علمية، الصين هي الدولة الأكثر شعبية في المنطقة العربية من بين القوى الكبرى في العالم، فحسب استطلاع للرأي أجراه مركز غالوب في مايو (أيار) 2009 حول شعبية الدول الكبرى في العالم، أظهرت نتيجته تفوق الصين على الولايات المتحدة الأمريكية، شعبياً، بصورة حاسمة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث حصلت على 41% مقابل 14% فقط أيدوا الولايات المتحدة الأمريكية. وترجع أسباب شعبية الصين في الدول العربية إلى أسباب عديدة منها:

- أن الصين في الذاكرة العربية منذ زمن بعيد مثال للخير والمحبة والفكر، ومقولة «اطلبوا العلم ولو في الصين»، تعبر عن حضور الصين في الذاكرة العربية، وهو حضور مرتبط بصورة تخيلية لبلد فيه علم وصناعة وثقافة. وقد استمر هذا الحضور عبر العصور مدعوماً بما كان يربط الجانبين العربي والصيني من طرق تجارية برية وبحرية قديماً، وما ربط بينهما من دعم ومساندة متبادلة في فترة التحرر الوطني في العصر الحديث، بعد أن عانى كل منهما من نير الاستعمار والإمبريالية.

- على الرغم من الاختلاف الكبير بين الثقافتين العربية والصينية، فهناك قواسم مشتركة بين منظومة الأخلاق والقيم في الثقافتين، فقيم أخلاقية مثل بر

(30) حسين، إسماعيل، لمصلحة من السقوط في فخ شيطنة الصين عربياً؟ الصين اليوم، عدد سبتمبر (أيلول) 2014.

(31) عزت، شحرور، الإعلام الصيني بالعربية: إباحية فاضحة مخصصة للعرب فقط، القدس العربي، 29 مارس (آذار) 2013.

الوالدين واحترام وتوقير الكبير، والتكافل الاجتماعي وحسن الجوار... إلخ، قيم أصيلة مشتركة.

• أن حقيقة تعرض الجانبين العربي والصيني لمعاناة متشابهة من طرف ثالث مشترك هو الغرب، جعلت التقارب بينهما له أسباب موضوعية وعاطفية، وقد انعكس ذلك على الدعم العربي للصين في المحافل الدولية في مواجهة الغرب، مثل دعم العرب للصين لاستعادة مقعدها الشرعي في الأمم المتحدة، ودعم الصين للدول العربية في قضاياها العادلة وخصوصاً في قضية الصراع العربي-الإسرائيلي.

• تُعزى شعبية الصين، عربياً، في جانب منها إلى سياسات القوى الكبرى الأخرى المعادية للعرب، فسياسات الغرب المؤيدة لإسرائيل والتوجهات المعادية للإسلام في الغرب تجعل العرب يبحثون -على المستوى النفسي- عن حليف دولي، خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ويأملون أن تصعد قوة دولية تواجه الغرب، أو على الأقل توازنه.

لكن علينا أن ننبه إلى أن الصورة النمطية للصين في الذهن العربي، لها جوانبها السلبية عندما ترتفع توقعات العرب من الصين إلى أسقف بعيدة لا يمكن الوصول إليها، وعندما يتوقع العرب أن يجدوا في الصين الجنة المفقودة والعالم المثالي، فيُصدمون عندما تواجههم الحقيقة بأن الصين دولة ككل الدول فيها الطيب والخبيث، وأن الصينيين مثل كل البشر، فيهم الجيد والسيئ، المجتهد والمهمل، الصادق والكاذب... إلخ من صفات البشر. ولا شك أن تطورات جديدة حدثت وسوف تحدث في المستقبل مع زيادة حركة التبادل بين الجانبين، وسوف يكون هناك سوء فهم، وسوف تسعى أطراف أخرى لتشويه صورة العربي عند الصينيين وتشويه صورة الصينيين لدى العرب⁽³²⁾. ومن هنا تأتي أهمية تعزيز دور وسائط الاتصال، باعتبارها من أكثر العوامل الفاعلة في صوغ التوجهات، في ظل الانتشار الواسع لتلك الوسائط بفضل التقدم التقني.

(32) حسين، إسماعيل، شعبية الصين عربياً بعد ستين عاماً من التأسيس، (الصين اليوم)، عدد سبتمبر (أيلول) 2009.